

المحاضرة ٥: التحليل الوظيفي

من أهم ما أضافته الشكليّة إلى نقد النص الأدبي هو التنظير القصصي وتطبيقه؛ حيث ميّز الشكليون الروس بين **المتن الحكائي** (مادة القصة)، و**المبنى الحكائي** (نظام ظهور وحداته).

قال **توماشفسكي**: إننا نسمي متنًا حكائيًا مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها، والتي يقع إخبارنا بها من خلال العمل...، في مقابل المتن الحكائي يوجد المبنى الحكائي الذي يتألف من الأحداث نفسها، بيد أنه يراعي نظام ظهورها في العمل."

وقد استخدم الشكليون مفهوم **الحافز** بوصفه أصغر وحدة سردية.

ويذهب مؤرخو البنيوية إلى أن مشروع **فلاديمير بروب** أول مشروع بنيوي يؤثر في تاريخ النقد الروائي لأنه من اللبّات الأولى التي استطاعت تجريد المكونات السردية التي سماها وظائف **Fonctions** وهي وحدات دلالية دنيا يمكن أن ترد إليها المضامين الحكائية جميعها.

وقد درس بروب مئة حكاية شعبية من التراث الروسي حتى توصل إلى هذا النموذج الوظيفي الذي بناه وفقا للوظائف التي تنسب للشخصيات الأساسية في الحكاية.

- وظائف بروب في الحكاية الشعبية:

أطلق فلاديمير بروب في كتابه **مورفولوجية الحكاية** مصطلح الوظيفة على الوحدات التركيبية التي تبقى ثابتة رغم تنوع الحكايات؛ فالوظيفة هي الفعل الذي تقوم به الشخصية والمحدد من حيث دلالاته في تطور الحكاية.

ومن هذه الوظائف نجد: الوظيفة الأساسية التي تعبر عن الأعمال التي تقوم بها شخصيات القصة، و الوظيفة الثانوية التي تعبر عن أوضاع هؤلاء الشخوص وأجوائهم.

وقد حدد "بروب" وظائف الحكاية الشعبية الخرافية في إحدى وثلاثين وظيفة، وهي حسب ترتيب "بروب" لها:

1- وظيفة رحيل أو نأي **Eloignement**

يغادر أحد أفراد العائلة مسكنه

أ- قد يكون المبتعد من الجيل الراشد، كذهاب الأمير في مهمة

ب- يمكن أن يكون الموت رحيلًا حتميًا كموت الوالدين

ج- في بعض الأحيان قد يكون المبتعدون من الجيل، كغرض البحث عن فتاة الأحلام .
فالمغرض الوظيفي من الرحيل هو إبعاد الأشخاص الذين يمنع تواجدهم حدوث الإساءة،
فالشخص المبتعد عادة ما يكون مساندا للشخصية الضحية، بما أن له صلة قرابة بها.

2- وظيفة منع Interdiction

وهي وظيفة عادة تسبق وظيفة الرحيل، ووظيفة منع يتم فيها إشعار البطل بوجود المنع.

أ- يمكن أن يرد في صيغة الأمر، نحو: لا تتوقفي في الطريق .وكما نجد أشكالا مخففة للمنع
في قالب نصيحة، كالمنع من الخروج تفاديا من المخاطر، كما يأتي في قالب نصيح. ب-
الشكل العكسي للمنع هو الأمر أو الاقتراح، أي أن يطلب من البطل مثلا أن يجلب الطعام إلى
الحقل.

3- وظيفة خرق Transgression

وهي مخالفة المنع أو التحذير، «و الخرق عادة ما يرتبط بالمنع، وبهذا تمثل الوظيفتان الثانية
والثالثة (المنع والخرق) عنصرا تركيبيا مزدوجا ويقصد بذلك أنه يمكن توفر العنصر الثاني
دون الأول ومثال ذلك كأن تصل الأميرات متأخرات إلى الحديقة، فيغيب هكذا ذكر منع
التأخير بينما يذكر الخرق، وتطبع الحكاية هنا شخصية تستطيع أن نسميها المعتدي على
البطل ودوره هو تنقيص سلام العائلة السعيدة أو التسبب في مصيبة أو إلحاق ضرر بالعائلة.
ونستنتج أن الخرق هو عدم احترام الأمر أو النصيحة أو عدم الامتثال للأمر.

4- وظيفة استطلاع Interrogation

وهي الحصول على إشارات واستخبار ومعلومات. وهنا تظهر شخصية شريرة، تنزود
بمعلومات عن الشيء المرغوب أو الشخصية المفقودة؛ أي إنه يقوم بمحاولة استطلاعية.

أ- يكون هدف الاستطلاع اكتشاف المكان الذي يسكنه الأبطال، وفي بعض الأحيان المكان
الذي توجد به أشياء ثمينة.

ب- قد يبدو الاستطلاع بشكل عكسي كأن تطرح الضحية أسئلة على المتعدي

ج- « في بعض الأحيان يتم طرح السؤال بوساطة أشخاص آخرين

5- وظيفة اطلاع Information

يتحصل المتعدي أو الشخصية الشريرة على معلومات وعلى إرشادات حول الشيء المفقود
والمرغوب، ويتم ذلك وفق ما يلي:

أ- يجيب الضحية المتعدي مباشرة على سؤاله وقد يتم في هذه الحالة اندماج الوظيفية الرابعة والخامسة، كما تظهر هذه الوظيفة في قالب حوار.

ب- كما يمكن أن يرد الاستطلاع بشكل مغاير للشكل السابق والمقصود بذلك أن الجواب يكون من المتعدي إلى الضحية كما أن الاطلاع يكون لصالح الضحية لا المتعدي.

6- وظيفة خداع Tromperie

المتعدي أو الشخصية الشريرة تخدع الضحية فيستولي عليها أو على شيء منها. « في بعض الحالات يتقدم المتعدي بمظهر مخالف لمظهره العادي كأن ينقلب الوحش عنزة ذهبية أو أن تنتكر الساحرة في شكل عجوز طيبة وتقلد صوت الأم. وكما يمكن أن يلجأ المتعدي أو الشخصية الشريرة إلى أسلوب الإغراء أو الإقناع بهدف تحقيق غاياته أو استخدامه أدوات سحرية كما يمكنه اللجوء إلى أساليب أخرى أكثر مكرًا.

7- وظيفة تواطؤ عفوي Involontaire Complicité

وتتجسد هذه الوظيفة عند استسلام الضحية لخداع المتعدي ومساعدتها له مرغمة أو متواطئة عفوية. ومن بين الحالات التي يرد فيها الاستسلام هي:

أ- اقتناع البطل بكلام المعتدي كقبول الخاتم مثلاً.

ب- تؤثر الطرق السحرية في البطل كأن ينام البطل مثلاً.

8- وظيفة إساءة Méfait

إلحاق المعتدي الضرر والأذى بأحد أفراد العائلة ولها أهمية خاصة لأنها تكسب الحكاية حركيتها.

8-أ وظيفة افتقار Manque

افتقار أحد أفراد العائلة إلى شيء، أو يريد التحصل على شيء.

9- وظيفة وساطة Médiation

ينتقل خبر الإساءة أو النقص الذي لحق بأحد أفراد العائلة لحاجته إلى البطل، فيطلب منه أو يؤمر بالتحرك

10- وظيفة بداية الفعل المضاد Début de l'action contraire

يقبل البطل الفاعل القيام بالبحث أو يعزم عليه، وهذه الوظيفة لا تندرج بصورة كبيرة في الحكايات الشعبية العجبية، كما أن النية في البحث والعزم على ذلك بديهي ينبغي توفره.

11- وظيفة انطلاق **Départ**

مغادرة البطل لمقر مسكنه كخطوة أولى في إنجاز المهمة.

12- وظيفة اختبار **Epreuve**

يتعرض البطل لاختبار يتمثل في مجموعة من الأسئلة يُعدُّه لتقبل أداة سحرية أو وسيلة أو معرفة تكسبه الكفاءة التي يقتضيها الفعل أو الانجاز.

13- وظيفة بداية رد فعل البطل **Réaction du héros**

يقبل البطل المهمة التي كلف بها ويستعد للقيام برد فعل معاكس

14- وظيفة استلام الأداة السحرية: (**Réception de l'auxiliaire magique**)

وهنا توضع الأداة السحرية تحت تصرف البطل.

ويمكن أن ترد الأدوات السحرية في الأشكال التالية:

- أدوات مثل: سيف، قنديل، ولاعة..

- حيوانات مثل: حصان، نسر..

- صفات يكتسبها البطل بطريقة مباشرة كالقوة البدنية أو القدرة

15- وظيفة انتقال أو إرشاد **Guide**

توجه البطل قرب المكان الذي توجد فيه ضالته.

16- وظيفة صراع **Combat**

دخول البطل في صراع مع المعتدي

17- وظيفة علامة **Marque**

يحمل البطل علامة وقد تكون هذه العلامة إما جسمية كأن يجرح البطل أثناء المعركة أو تسم الأميرة جبين البطل بخاتمها.

كما يمكن أن تكون العلامة بواسطة تلقي خاتم أو منديل أو سيف.

18- وظيفة انتصار Victoire

ينتصر البطل على المعتدي.

أ- يصرع المعتدي في المعركة.

ب- يغلّب في سباق.

ج- يقتل المعتدي بدون صراع سابق (كأن يقتل أثناء نومه).

19- وظيفة تقويم الإساءة Réparation

يقومّ البطل بالإساءة الحاصلة باستعماله الأسلوب نفسه الذي يتوخاه المعتدي في حالة الاختطاف أو يلجأ إلى الاستعانة بأداة سحرية، كما يمكن أن يكون الإصلاح باستعمال فـخ.

20- وظيفة العودة Retour

تقع العودة غالباً على الصورة نفسها التي يقع بها الوصول إلى مكان الانطلاق، لكن ليس من اللازم أن تفرد وظيفة مخصصة لذكر العودة، لأن هذه الوظيفة الأخيرة تعني تحكم البطل في المكان المقصود والحال غير ذلك وقت الانطلاق الذي يتبعه التحصل على الأداة السحرية، بينما يكون البطل عند العودة معززا بالكفاءة والطاقة اللازمة لإنجاز أي فعل.

21- وظيفة مطاردة Poursuite

تقع مطاردة البطل:

- يطير المطارد في أثر البطل كأن يحاول الوحش الالتحاق بالبطل

- يطالب المطارد بأن يسلم له البطل

- يحاول المطارد أن يقتل البطل أو أن يلتهمه

- يحاول المطارد أن يقطع بأسنانه الشجرة التي احتوى بها البطل

- يتنكر المطارد في شكل جذاب ومغرر

22- وظيفة النجدة Secours

يقع إسعاف البطل بالنجدة:

- يحمل على جناح الهواء كأن يطير البطل على صهوة حصان.

- يهرب البطل ناصبا حواجز على طريق مطارديه كأن يرمي بمنديل يتحول إلى جبل.
- يتنكر البطل خلال هروبه في أشكال حيوانات أو أشياء يصعب بها التعرف على هويته.
- يختبئ البطل خلال هروبه كأن تختفي الفتاة بين أغصان شجرة تفاح.

23- وظيفة الوصول خفية **Incognito Arrivée**

يصل البطل خفية إلى مسكنه أو إلى بلد آخر.

24- وظيفة مطالب كاذبة **mensongères Prétention**

ظهور بطل مزيف يدعي لنفسه دعاوي كاذبة.

25- وظيفة مهمة صعبة **difficile Tache**

تعرض البطل إلى عمل صعب وذلك للتأكد من حقيقته، ويكون ذلك باختبار جسدي أو معرفي ..

26- وظيفة إنجاز المهمة **accomplie Tache**

إنجاز البطل للمهمة، وقد ينجز البطل أعمالا قبل أن تقترح عليه أو قبل أن يلزمه طالبها بإنجازها.

27- وظيفة التعرف على البطل الحقيقي **héros du Reconnaissance**

وذلك نتيجة العلامة التي يحملها أو من خلال نجاحه في إنجاز عمله الصعب.

28- وظيفة اكتشاف البطل المزيف **Le faux héros ou l'agresseur démasqué**

تنتج هذه الوظيفة عند إخفاق البطل المزيف في إنجاز العمل الصعب، والبطل المزيف حسب مفهوم "بروب" هو الشخصية التي يتخللها الافتقار وتطمح رغم ذلك إلى التمجيد والتكريم.

29- وظيفة تجلي **Transfiguration**

ظهور البطل بشكل جديد وذلك بفضل قوى سحرية أو طبيعية أثناء الرحلة أو البحث.

30- وظيفة عقاب **Punition**

يعاقب البطل المزيف كأن يجر خلف حصان مثلا أو يصفح عنه.

31- وظيفة مكافأة زواج **Mariage**

- يتزوج البطل ويصبح ملكا.
- يتزوج البطل في غالب الأحيان لكنه لا يصبح ملكا وذلك لأن زوجته ليست أميرة.
- في بعض الحكايات يتم ذكر التنويج فقط.
- قد يُمنح البطل مكافأة مادية عوض يد الأميرة وهنا نلاحظ تعويضا من نوع مغاير.
- وجد بروب تواتر هذه الوظائف في الحكايات الخرافية؛ وهذه الوظائف رغم أنها قد لا ترد مجتمعة في كل الحكايات إلا أنها تحافظ على ترتيبها في كل حكاية.
- وقد عيب على دراسة بروب اقتصارها على نوع واحد من السرد وهو الحكاية الخرافية في حين أن السرد متنوع، ونتائج هذه الدراسة جاءت مقتصرة على نوع واحد.
- ولم يتعد جهد بروب الإشارة إلى التماثل العضوي والهيكلية الذي يقرب بين الأقاليم الشعبية العالمية.
- وقد عاب عليه كلود بريمون في كتابه **منطق الحكاية** أحادية الاتجاه (بديهة بحصول افتقار- نهاية بإصلاح الافتقار) وأكد أن تركيب القصة يمكن أن يتفرع ويتوزع في اتجاهات متعددة ومتشعبة.
- ولكنه رغم هذه الانتقادات قد أكسب دراسة القصة صبغة منهجية جديدة قامت عليها نماذج تحليلية أخرى للسرد، مثل النموذج العاملي.

مصادر المحاضرة:

- 1- عبد المجيد زراقط: النقد الأدبي مفهومه ومساره التاريخي ومناهجه
- 2- سمير المرزوقي وجميل شاكر: مدخل إلى نظرية القصة، تحليلا وتطبيقا.
- 3- رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص.
- 4- صالح بن الهادي رمضان: النقد الروائي العربي وقضايا المرجع.